(٨٣)

النَّصِيرُ جل جلاله

جاء في «الصحيحين»: أن شروط الحديبية ثقلت على أصحاب رسول الله ﷺ...

قال عمر بن الخطاب: فأتيت النبي ﷺ؛ فقلت: ألست نبي الله؟ قال: «بَلَى»، قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: «بَلَى»، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا؟!

فقال ﷺ: «إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي»[هذا لفظ البخاري].

تَعَالَيْتَ يَا مَنْ تَجْعَلُ الحَقَّ يَغْلِبُ ... وَيَهْزِمُ شَرًّا قَدْ تَمَادَى يُخَرِّبُ
فَأَنْتَ الَّذِي تُعْطِي الحُقُوقَ لِأَهْلِهَا ... فَنَصْرُكَ أَقْوَى مَا يَكُونُ وَأَقْرَبُ

قال الله عن ذاته العلية بقوله: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٤٠﴾[الأنفال:٤٠].

فربنا سبحانه وتعالى هو الذي ينصر رسله وأنبياءه وأولياءه على أعدائهم في الدنيا،

ويوم يقوم الأشهاد، قال ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾[غافر:٥١].

وربنا ﷻ ينصر المستضعفين، ويرفع الظلم عن المظلومين؛ ولو كانوا كافرين؛ فلا ناصر لهم إلا الله.

وربنا ﷻ ينصر المؤمنين على عدوهم؛ سواءً كان خارجيًّا؛ كالكافرين والظالمين، أو داخليًّا؛ كالنفس والشيطان، وهما أضر على المؤمن من عدوه الخارجي؛ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

وإذا نزل نصر الله؛ فلا غالب لمن نصره، ولا ناصر لمن خذله؛ ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾[آل عمران:١٦٠].

❐ صور النصر:

وأنواع نصرة الله لعباده المؤمنين يأتي بها الله ﷻ من حيث لا يحتسب العبد، فلا تعد ولا تحد ولا ترد:

فتارةً تكون: بتأييد الملائكة؛ كما في نصره لنبيه وصحبه في بدر، أو بالريح؛ كما في عاد والأحزاب، أو بإرسال الطير الأبابيل؛ كما في أصحاب الفيل، أو بالصيحة؛ كما في ثمود، أو بالخسف؛ كما فعل بقارون، أو القذف؛ كما في قوم لوط، أو الطوفان؛ كما في قوم نوح.

وجند الله ﷻ لا حصر لهم، والله غالب على أمره، وهو ﷻ على كل شيء قدير.

وصور النصر تكون: تارةً بالظفر بالأعداء وقهرهم؛ كانتصار داود وسليمان عليهما السلام، والنبي محمد ﷺ.

وتارةً بالانتقام من المكذبين في حياة الرسل؛ كقوم نوح، وقوم لوط، وهلاك فرعون وغيرهم، أو بعد مماتهم؛ كتسليط بختنصر على قتلة يحيى عليه السلام، وتسليط الروم على مريدي قتل عيسى عليه السلام.

فالله ﷻ قال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾[غافر:٥١].

❐ الجواب الكافي..

قال السدي: "قد كان الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون، وذلك: أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله قومًا فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوا منهم، فيكون الإشكال قد زال عند هذه الآية".

وأما الإشكال الآخر الذي يورده بعض الناس عند قوله ﷻ: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾[النساء:١٤١]:

ففي الآخرة لا إشكال فيه.

وأما في الدنيا؛ فجوابه -كما قال ابن القيم رحمه الله-: "فإذا ضعف الإيمان صار لعدوهم عليهم من السبل بحسب ما نقص من إيمانهم.

فالمؤمن عزيز غالب مؤيد ومنصور: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾[غافر:٥١].

وما يراه المسلم في هذا الزمان من تسلط الكفار إنما هو بسبب: ما أحدثه المسلمون في دينهم من نقص أو زيادة، فإن تابوا اكتمل إيمانهم، وحل نصرهم من الله ﷻ: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾[الروم:٦].

وثمن النصر: الإيمان والإعداد والصبر؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الروم:٤٧]، وقال: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال:٦٠]، وقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾[آل عمران:١٢٠]، وجاء عنه ﷺ أنه قال: «..وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ» [حديث صحيح. رواه أحمد في «المسند»].

وهنا ينزل النصر من المولى النصير؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران:١٢٦]، وقال: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾[آل عمران:١٦٠].

وإذا كان الله ﷻ معك فمن عليك؟

وإذا كان عليك فمن معك؟

ومن لاذ بالله كفاه وعلا شأنه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾[الحج:٧٨].

ثم إن المؤمن يحب المؤمن ، وينصره بظهر الغيب ، وإن تناءت بهم الديار وتباعد الزمان .

اللهم يا نصير! انصرنا على القوم الكافرين.